مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية

المجلد12/العدد: 01 (2022)، ص 1032-1045

لمحة عن الجهاد البحري الجزائري أثناء الحكم العثماني

A glimpse of the Algerian naval jihad during the Ottoman rule

حليم سرحان*

جامعة المسيلة، halim.serhane@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2021/01/05 تاريخ القبول: 2022/04/17 تاريخ النشر: 2022/06/28

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على زوايا الجهاد البحري في الجزائر خلال الحكم العثماني في الفترة الممتدة ما بين القرون (10-13هـ/16 -19 م)؛ وقد اعتمدنا على استقراء واستنطاق المصادر التاريخية، والكتب المرجعية الأساسية لهذه المرحلة التي تأججت فيها الحروب البحرية في عرض البحر الأبيض المتوسط، والتي اتخذت طابعا دينيا بين الإسلام والمسيحية. انبرت لها الجزائر بعزيمة قوية معتمدة على أسطولها المهيب وبحارتها العظام الذين بسطوا فيها سلطانهم على المسالك البحرية؛ بحيث لم تعد سفينة واحدة للدول الأجنبية تمخر عباب البحر إلا بإذن من البحرية الجزائرية. وقد نتج عن هذا النشاط تحول اجتماعي واقتصادي واضح على كافة الأصعدة في البلاد وعلى سكانها مستفيدين من غنائم البحر المتنوعة التي غصت بها الأسواق وقصور الحكام؛ ويلاحظ أن الجهاد البحري نال انتباه المؤرخين الأجانب فكتبوا عنه لأهميته في تغير موازين القوى في البحر رغم ما تحمله كتاباتهم من أحقاد مبنية على توجهات إيديولوجية ودينية مقيتة ضد الإسلام ومعتنقيه. حاولنا التصدي لها ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

كلمات مفتاحية: الأسطول.، القراصنة.، الأسرى.، الجهاد البحري.، الغنائم.

Abstract:

This article aims to shed light on various angles of the naval jihad movement in Algeria during the Ottoman rule in the period between the centuries (10-13 AH / 16-19 CE). The Mediterranean that has taken on a religious character between Islam and Christianity. Algeria rose to it with strong determination relying on its majestic fleet and its brave sailors, in which they extended their authority over the maritime routes, so that no single ship of foreign countries sailed the sea without the permission of the Algerian navy, and this movement has

---

* المؤلف المرسل: حليم سرحان الإيميل: halim.serhane@univ-msila.dz

resulted in a clear social and economic transformation for all countries and their inhabitants, benefiting from the spoils of the sea. The diverse markets and the palaces of the rulers filled it. It is noted that the naval jihad movement gained the attention of foreign historians, who wrote about it due to its importance in changing the balance of power at sea, despite the hatreds and hatreds that their writings carry based on abhorrent ideological and religious orientations.
Keywords: the fleet., the naval jihad., the pirates., the prisoners., the spoils.

Résumé :

Cet article vise à mettre en lumière différents angles du mouvement du jihad maritime en Algérie pendant la domination ottomane dans la période entre les siècles (10-13 AH / 16-19 CE). La Méditerranée qui a pris un caractère religieux entre islam et christianisme. L'Algérie s'y est levée avec une forte détermination en s'appuyant sur sa majestueuse flotte et ses courageux marins, dans lesquels ils étendaient leur autorité sur les routes maritimes, de sorte qu'aucun navire de pays étrangers ne naviguait sur la mer sans l'autorisation de la marine algérienne elle-même, et ce mouvement a abouti finalement à une transformation sociale et économique claire pour tous les pays et leurs habitants, bénéficiant du butin de la mer. Les divers marchés et les palais des souverains d'Alger l'ont rempli. Il est à noter que le mouvement du jihad maritime a attiré l'attention des historiens étrangers, qui ont écrit à son sujet en raison de son importance dans la modification de l'équilibre des pouvoirs en mer, malgré les haines et les haines que leurs écrits véhiculent sur des orientations idéologiques et religieuses odieuses.
Mots clés : Le butin., La flotte., Le jihad naval., Les pirates., Les prisonniers.

- **مقدمة**

يعالج هذا المقال لمحة عن الجهاد البحري الجزائري أثناء الحكم العثماني من خلال تسليط الضوء على أهمية الجهاد ذاته في الدين الإسلامي، ثم ما لاقاه من عناية في الكتابات التاريخية العربية والأجنبية التي درست هذا النشاط في شكله العسكري المحض وانعكاسه السياسي، والاقتصادي والاجتماعي على سكان البلاد. ولا شك أن فكرة الجهاد البحري كانت حية وراسخة في قلوب المسلمين خاصة بعد احتلال شواطئ المغرب من طرف البرتغاليين والإسبانيين، وبعد سقوط غرناطة سنة (897هـ/1492م) حين حل فيها الصليب محل الهلال على أبراج المدينة؛ فذاق المسلمون ألوانا من الذل وصنوفا من الهوان وخيروا على التخلي عن دينهم أو مغادرة وطنهم. حيث شردوا ونهبوا من قبل محاكم التفتيش التابعة للكنيسة طيلة القرن (10هـ/16م) فلجأ عدد منهم إلى سواحل إفريقيا الشمالية، حتى أفتى العلماء والفقهاء جميعا بأخذ الثأر وحث الخطباء في المساجد على قتال النصارى بجميع الطرق والوسائل؛ فاشتعلت نيران

العداوة والحقد على الكفرة عامة وعلى الإسبانيين خاصة. وانطلق المجاهدون من شواطئ الجزائر لغزو إسبانيا واستنزاف قواتها وانقاذ ما بقي للإسلام هناك. فما هو إذا الجهاد البحري؟ وما هي ملامحه الكبرى؟ وما هي النتائج التي ترتبت عنه؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه فيما يلي:

1. مصطلح الجهاد بين المجادلة الدينية والمقاربة التاريخية:

1.1 الجهاد في نظر الدين الإسلامي:

لا مناص من القول أن لفظة الجهاد مقدسة لدى جميع الأمم معززة بين كل الأجيال، لها مكانها في كافة المذاهب والأديان على اختلافها. فبالجهاد تعتز الأفراد وترتقي الشعوب وبه تصان الأعراض وتحفظ الذمم وبه تحترم الرعايا وتقام الدول وبه يظهر الحق ويزهق الباطل. وكلمة الجهاد مشتقة من الجهد والمشقة والتعب فضلا على أنها بذل الوسع والمجهود فيما أمر الله به ونهى عنه (ابن العنابي، 1983، ص ص، 11- 14). لقوله تعالى : " وجاهدوا في الله حق جهاده" (الآية 78، سورة الحج)، ولو لم يكن للجهاد هذه المكانة لما ذكرها الله سبحانه مع مشتقاتها في إحدى وأربعين مرة في القرآن الكريم. وقد فضل الله المجاهد على القاعد في قوله : " وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما" (الآية95، سورة النساء). كما عرف الفقهاء الجهاد بقولهم : " هو قتال مسلم كافر غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله" (ابن العنابي، 1983، ص، 14). يظهر من خلال هذه التعاريف أن لفظة الجهاد هي القتال بعينه لا شيء سواه. إذا لا فرق بين القتال في البر أو البحر ما دام الهدف واحد وهو إعلاء كلمة الله. ولعلنا لا نتجاوز الحقيقة إذ أشرنا إلى أن الحديث الشريف ذكر فضل الجهاد والغزو في البحر بالرغم من أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يأذن لأصحابه ركوب البحر لتحقيق تلك الغاية النبيلة وهي النفير على الألواح العائمة. فعن سليم بن عامر قال: سمعت أبا أمامة يقول:" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " شهيد البحر مثل شهيدي البر، والمائد في البحر كالمتشحط في دمه في البر وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعة الله وإن الله عز وجل وكل ملك الموت بقبض الأرواح، إلا شهيد البحر، فإن يتولى قبض أرواحهم، ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدين، ولشهيد البحر الذنوب والدين (ابن ماجة، 1953، ص، 928). نستشف من هذا الحديث فضل الجهاد في البحر والمكانة اللائقة التي ينالها شهيد البحر بعد لقاء ربه ثوابا له على ما بذله من مشقة وجهد، بالإضافة إلى قوله تعالى: " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم" (الآية 111، سورة التوبة) رغم كون الآية الكريمة لم تذكر المقاتل على السفينة صراحة، وينطبق عليه هذا القول إذ جاء الكلام عام غير مخصص لصفة أو نعت بذاته.

2.1 الجهاد في الكتابات التاريخية:

إذا كان المفهوم المتعارف عليه في الكتابات التاريخية الإسلامية إزاء الحرب ضد السفن والشواطئ المسيحية هو الجهاد البحري بكل ما تحمله الكلمة من صفة التقديس والوازع الديني من أجل الذود عن راية الإسلام، ومصالح الأمة من جهة ومن حماسة وطواعية واستعداد للأسر أو الاستشهاد، ورغبة في الإضرار بالعدو وتحقيق الغنيمة على حسابه ، فإن المصادر المسيحية قد استعملت مصطلحات عديدة حيث أدرجت العمليات الجهادية البحرية في عداد أعمال الإجرام واللصوصية وإن المجاهد البحري في نظر هؤلاء ما هو في الواقع إلا قرصان ولص ومجرم وصعلوك يعمل ضمن عصابات إجرامية احترافية، ليس لها مبدأ ولا تقر بقانون ولا تحترم ميثاقا وغايتها الاغتناء على حساب الأساطيل التجارية والأفراد. (Pavy, 1857-1858, p, 337).

إذا يبدو التميز واضحا حينما يتعلق الأمر بالتدقيق بين شكلي الاعتراض البحري للسفن التجارية أو الهجوم على السواحل اللذين تمثلهما لصوصية البحر، والقرصنة. أما إذا رجعنا إلى حركة الجهاد البحري فإنها ارتكزت في انطلاقتها على التراث التاريخي للصراع الديني بين الإسلام والمسيحية إن صح القول. لا سيما وأن نجاح العالم المسيحي في تحييد الحضور الإسلامي اقتصاديا بالتفافه حول مراكز الإنتاج الأولي فضلا عن استغلاله للعالم الجديد، جعل افتقاد العالم الإسلامي لمجاله الحيوي يترسخ سنة بعد أخرى. وجعل من إمكانية المواجهة من أجل إعادة الوضع القائم مستحيلة، وكان من شأن اختلال دور البحر في توزيع الخيرات والخدمات والثروات أن يولد إرهاصات سلبية كالقرصنة والاسترقاق وروح العدى والحقد. ويظهر أن هذا الصراع يقوم على احتكار المجال البحري بين مجتمعين متنافسين أحدهما يسعى للحفاظ على سطوته التجارية، وآخر يجاهد لعرقلة تلك السطوة والحصول على موطئ قدم أو بالأحرى اكتساب منافذ حيوية له وسط الامتداد الاقتصادي والسياسي للخصم المتفوق. (Braudel, 1987, p, 191).

لقد برزت حركة الجهاد البحري إلى الوجود كرد فعل على عمليات القرصنة ولصوصية البحر التي مارستها الدول المسيحية كبعد استرتيجي واقتصادي، وبانتقال حدود التماس إلى المجال البحري، سيكون لزاما على الطرفين تأسيس قاعدة للمواجهة في حوض البحر الأبيض المتوسط، في صورة حروب كبرى مباشرة في حالة التوازن التي قلما تحدث، أو في صورة حروب صغرى غير مباشرة في حال اختلال موازين القوى . وسيطلع بهذه المهمة رواد القرصنة الصليبيون، ورياس البحر المسلمون (بالحميسي، 1968، ص، 7). ولا شك أن لحركة الجهاد البحري التي قامت بها البحرية الجزائرية والأسطول العثماني في إجهاض الاقتصاد الإسباني دور في توجه الجنويين الماهرين في الاقتصاد وبخاصة التجارة نحو إسبانيا يستنزفونها بالقروض الربوية وغيرها. مما جعلها لا كما تصورها النصوص التاريخية إمبراطورية كبرى وإنما هي كيان هش (عبد الله الشيخ، 1988، ص، 121). وبدأ الجهاد البحري في الجزائر ينموا ويتطور في القرن (10هـ/ 16م) الذي يعد عصره الذهبي. ولم يكن الغزو في أواخر القرن (9هـ/ 15م) منحصرا في

المراسي الهامة ، فكان نشاط المرسى الكبير في وهران، وميناء بجاية وغيرها يماثل أو يفوق نشاط مدينة الجزائر. غير أن الأوضاع تغيرت في القرن (10هـ/ 16م) عندما ابتسم الحظ لهذه الأخيرة – مدينة الجزائر - وكثرت ثروتها واختارها العثمانيون عاصمة لمركز حكمهم الجديد. وقد زارها الرحالة التمجروتي في هذه الفترة فأعجب بعدد السفن الراسية في المرسى وبشجاعة رياس البحر وصبرهم وحدة ذكائهم، ووصفهم بأنهم نار على النصارى في أقطارهم، يزرعون الرعب في أوساطهم (التمكروتي، 2002، 129). كما أنهم يفوقون بكثير رياس القسطنطينية في الجرأة والبأس حتى أن عدوهم يرهبهم أكثر من غيرهم. وهناك ملاحظة هامة مفادها أن هناك باعث آخر شجع على الجهاد البحري في هذه الفترة ألا وهو العامل السياسي، فكان العثمانيون قد احتلوا منذ أوائل القرن ثلثي سواحل البحر الأبيض المتوسط، كما احتلوا عددا من الجزر في الحوض الشرقي منه مثل رودس سنة (929هـ/ 1522م)، وقبرص سنة (979هـ/ 1571م)، فمن غير شك أن تكون المنافسة بين العثمانيين والأسبان حادة وقاسية تتمثل في الصراع البري والبحري الذي تمارس فيه مدينة الجزائر دورا هاما (بالحميسي، 1968، ص، 11). والجدير بالذكر أن جهاد البحر كان يشكل نزيفا حادا للاقتصاد الاسباني، وأن الشواطئ الإسبانية كانت في حالة تهديد دائمة؛ ومما يدعو للاستهزاء أن أغلب أساطيلها التي كانت تخوض الحرب في الأبيض المتوسط وعلى شواطئه الجنوبية معظمها مستأجرة من جنوة وليست ملكا للتاج الاسباني. وقد استأثر الجنويون بالأمور المالية داخل اسبانيا، وهذا ما جعلهم يحصلون على أرباح ضخمة مقابل تأجير سفنهم وإقراضهم الحكومة الإسبانية مما أضاع عليها جل أموالها (عبد الله الشيخ، 1988، 125).

3.1 الاستعداد للجهاد وميادين الغزو:

1.3.1 تنظيم الجهاد البحري:

تستدعي عمليات الجهاد البحري استعدادات جمة كترتيب الجنود وتصنيفهم، وحصرهم وتحديد قوادهم وعرفائهم؛ فضلا عن صنع السفن وتجهيزها، وشحنها بالمؤن والسلاح. فالجميع كان يشارك بقدر استطاعته في هذه العملية حتى النساء بعن حليهن للمساهمة في الجهاد (ابن العنابي، 1983، ص، 51). ويعين مجلس الرياس من له دراية بشؤون الملاحة وله مهارة وشجاعة وتجارب فينتخبه لقيادة الحملة البحرية حيث كان يرافق الرايس مجموعة من الفنيين كالنجار، والجراح والخزناجي والكاتب وأضرابهم فمن الرايس التدبير والأمر ومنهم السمع والطاعة. (Venture de Paradis, 2006, p, 67)

وكان على كل الذين سبق لهم ركوب البحر في شبابهم ولهم مؤهلات بدنية، أن يستجيبوا إذا ما دعاهم أحد الرياس للإبحار قصد الغزو والجهاد.

فعادة ما كان الرافضون للخروج أن يدفعوا للرايس مقدار من المال بدافع التخلف والبقاء للتكفل بالعائلة أو بسبب كبر السن. وقد يتحجج البعض بأن لديهم محلاتهم فلا يستطيعون إلا أن يبقوا مع الخوالف. فإذا ما أصر الرايس على رأيه فإن على المجندين أن يذعنوا. وإن سولت لأحد نفسه بالهرب بعدما جاءه الأمر بركوب البحر فسوف يتعرض للموت لا محالة، وعندما تنتهي تدابير النفير والتجنيد

يغلق الميناء بإذن من الديوان بغية تسليح البحارة، وتتم هذه العملية عادة من ثلاثين إلى أربعين يوما حتى تجهز السفن لخروجها إلى الجهاد (سرحان، 2007-2008، ص، 43).

أما توقيت الخروج إلى الغزو فكان يحدد بعد انتهاء فصل الشتاء عندما يهدأ البحر وتسكن أمواجه، وتصبح الملاحة البحرية ممكنة. وأحسن وقت للغزو يقع ما بين شهر أفريل وسبتمبر فتشحن السفن بالزاد اللازم لإقامة طويلة في البحر تستغرق أحيانا شهرين أو أكثر. فيحمل المجاهدون معهم كمية من المؤن كالخضر والفواكه والزيت والزيتون والتين وبعض اللحوم المجففة. ثم تنطلق الحملة بعد إصلاح أدواتها واختيار آلاتها (حليمي، 1972، ص، 286).

2.3.1 مجال عمليات الغزو:

كان المجاهدون في القرن (10هـ/16م) يسيطرون على البحر الأبيض المتوسط فشقوا عبابه شرقا وغربا وتوغلوا فيه بعيدا. فلقد سير خير الدين بربروس حملة عسكرية على سواحل الأندلس وبقي هناك نحو ثلاثة أشهر استطاع انقاد بعض المسلمين فشرع الكفار في الفرار وتبعهم هذا الأخير وأثخن فيهم. ولما خلفه حسن أغا من بعد ذلك أنشأ إحدى وثلاثين غليوطة، فاشتد بذلك على أهل إسبانيا واستولى على العديد من أجفانهم وعاث في أطراف سواحلهم (الجديري، 2017، ص ص، 101-106). وتكررت الغارات والطلعات البحرية على تلك السواحل ففي سنة (922هـ/1515م) كاد المجاهد كرد علي يقبض على البابا ليون العاشر. وفي سنة (941هـ/1534م) أغار خير الدين على سواحل إيطاليا ورجع غانما مظفرا ومعه 150 أسيرا ثم عاد أدراجه إلى اسطنبول فكان لا يلقى جفنا من أجفان العدو إلا واستولى عليه حتى حصل على غنائم كثيرة وذهب إلى ساحل جنوة فعاث فيها وتركها خاوية على عروشها (المؤلف مجهول، 1934، ص، 31). ومن نتائج هذه الغارات على سواحل إيطاليا أن خلت من أهلها ولم تجدي التدابير التي اتخذت للدفاع عن السكان ولم تمنع وسائل الحماية المجاهدين من الهجوم على إيطاليا المرة بعد الأخرى. وهكذا ترى الإمبراطور شارل الخامس يقضي معظم وقته في محاولة انقاض ممالكه من أخطار المسلمين حتى حاول عبثا الاستيلاء على مدينة الجزائر.

حتى سواحل فرنسا الجنوبية لم تسلم هي الأخرى من ضربات المجاهدين الجزائريين، والشيء الذي ينبغي التذكير به هو أن هذه الحملات لقيت استهجانا من طرف الجميع وقد تمكن سكان سان تروبيز من القبض على بعض المجاهدين سنة (987هـ/ 1579م) وعلى آخرين سنة (990هـ/1582م) (De Grammont, 1885,p , 27.)

وعندما اشتد خوف أهل السواحل فكروا في إنشاء منظمة عسكرية لصد عمليات الجهاد عن أراضيها، وبالفعل تمكنوا من ذلك سنة (993هـ/1585م) بعدما غنم الجزائريون أربع سفن تابعة لمدينة مرسيليا سنة من قبل فثار التجار مما جعلهم يبعثون الوفود إلى ملكهم هنري الثالث ملتمسين منه التدخل لدى قلج علي باشا لكف الغارات عنهم.

ولم يهمل الجزائريون جزر الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، فنجدهم يشنون الغارات على مينورقة وسردينيا وكرسيكا وجزر البليار وصقلية إما بهدف الكسب أو البحث عن القراصنة وقطاع الطرق البحرية الذين عاثوا فسادا. إذ كانوا يترقبون العدو في المضائق والخلجان، فكانت معرفتهم بالمسالك البحرية التي تطرقها مراكبهم فينتظرونها عندما تتوغل في أعالي البحار وينقضون عليها. كما دفعت الجرأة والشجاعة بهم إلى الخروج أحيانا من البحر المتوسط والإغارة على الجزر في المحيط الأطلسي حتى بلغوا سواحل إسلاندا (نايت بلقاسم، 1985، ص، 72). وقد ذكر بعض المؤرخين أن البندقية كانت هدفا للغزاة البحريين المغاربة خلال القرن (11هـ/17م) وكانت هذه الأخيرة ترى في تونس والجزائر أنهما تابعتين للدولة العثمانية ولقد كانتا تساهمان في جميع الحملات البحرية وتلتحقان بالأسطول العثماني إذا لزم الأمر ذلك.

الواقع أن تونس والجزائر لا تعترفان بالعهود والمواثيق التي عقدها السلطان مع الدول الغربية ويعتبران كل دولة لم تتعاقد معهم رأسا أنها دولة عدوة يمكن الإغارة على سفنها ومداهمة أراضيها (الساحلي، 1975، ص ص، 105-106).

ويخبرنا دو جرامون بأنه في يوم 6 أوت (1063هـ/ 1653م) هجمت غاليتين جزائريتين

على الكاردينال الشهير أنتوان باربيريني (Antoine Barbirini) عند خروجه من ميناء مرسيليا، إلا أن هذا الأخير نجا بأعجوبة من هذه العملية بتدخل مدفعية حصن موناكو (Monaco) ولم يتمكن البحارة الجزائريون متابعته لكنهم في نهاية المطاف أخذوا الطريدة التابعة للكنيسة المشحونة بأشياء ثمينة.

ونظرا للخوف المتزايد من الجزائريين فإن الكاردينال سالف الذكر لم يعد في وسعه أن يركب البحر، بل أصبح يأخذ الطريق البري اتقاء لهجمات هؤلاء. وهذا شأنه حتى سنة

(1067هـ / 1657م) أين أخذ يركب البحر لكن بمعية المركيز مارتين (Martine) الذي كان يوفر له الحماية أثناء سفره إلى البندقية. (De Grammont, 1885,p, 27)

يتضح لنا أن الجهاد البحري شرع في بسط نفوذه طيلة القرن (11هـ/17م) على جميع سواحل البحر الأبيض المتوسط دون استثناء مما جعل الأوروبيين يزدادون حيطة ويدعمون قواتهم البحرية أكثر فأكثر لصد الغارات المتكررة على بلدانهم ومحاولة منهم كسر شوكة المسلمين (مؤنس، 1992، ص، 352). ومما ساعد على نجاح البحرية الجزائرية في عملياتها ضد الشواطئ الأوروبية استعمالها لنوع من السفن الصغيرة المتميزة بالخفة والسرعة وقدرة المناورة في أعالي البحار ومنها الغليوطات الخفيفة، والبريكات، والغاليرات والبريكانتين التي يطلق عليها الفرقاطة، وبفضلها تمكن هؤلاء من عبور مضيق جبل طارق والوصول إلى شواطئ إسلاندا كما مر بنا وصولا إلى إنجلترا سنة (1041هـ/1631م) وقد بلغ هذا النشاط ذروته في منتصف القرن (11هـ/17م) وأصبح يتحكم في أوضاع البلاد ويقوم عليه النشاط الاقتصادي للسكان حتى أصبحت مغانم الجهاد البحري مثل الأسرى والإتاوات توفر مصادر الرزق والعيش لمعظم سكان المدن الساحلية. وربما من هنا تراجعت الدوافع الروحية للجهاد البحري حيث اكتسى هذا

النشاط بصبغة الربح المادي ولعل هذا ما جعله يتعرض للضعف والانكماش منذ أواخر القرن (11هـ/17م) وزاد هذا الضعف حدة إلى غاية تلاشي القوة البحرية الجزائرية في الربع الأول من القرن (13هـ/19م) نتيجة للتقدم الاقتصادي والمهارة الفنية التي اكتسبتها البحريات الأوروبية بعد ظهور الثورة الصناعية من جهة والجمود الاقتصادي والانهيار الديموغرافي الذي عرفته الجزائر أواخر العهد العثماني. (La coste , 1931, p, 7)

ومما زاد في ضعف هذه القوة وتراجع الجهاد تكرر هجمات الأساطيل الأوروبية على المدن الساحلية بغرض القضاء على الجهاد وإطلاق الأسرى وإلغاء الامتيازات. وقد اضطرت الجزائر إلى عقد اتفاقيات مجحفة مع بعض الدول الأوروبية، والتزمت بحرية التبادل وضمان سلامة الأساطيل التجارية مثلما تنص على ذلك بنود المعاهدات المبرمة في الفترة ما بين (1038هـ/1628م)، (1077هـ/ 1666م)، (1095هـ/1683م) مع فرنسا. ومعاهدة (1094هـ/1682م) مع انجلترا، واتفاق مع هولندا عام (1092هـ/1680م). وحتى نوضح مدى الأضرار التي لحقت بالمدن الجزائرية جراء الغارات الخاطفة للأساطيل الأوروبية، لا بد من القول أن مدينة الجزائر تعرضت في الفترة الممتدة ما بين (1044-1204هـ/ 1634- 1789م) إلى عشر هجمات ألحقت أضرارا بالغة بالبحرية ونجمت عنها خسائر فادحة في الأرواح والعمران. وفي هذه الأثناء تناقص عدد البحارة الجزائريين فلم يعودوا يتجاوزون 5300 بحار عام (1183هـ/1769م) (سعيدوني، 1984، ص،45). والجدير بالذكر أن أوضاع البحرية أو بالأحرى حركة الجهاد تحسنت تحسنا طفيفا في السنوات الأخيرة من القرن (12هـ/18م) والسنوات 15 الأولى من القرن (13هـ/19م)، نتيجة اشتغال الدول الأوروبية بأحداث الثورة الفرنسية ومعارك نابليون، وظهور بعض البحارة المشهورين مثل الرايس حميدو خلال سنة (1212هـ/1797م) حينما سجل اسمه لأول مرة على دفتر الغنائم على النحو التالي: " إن حراقة مولانا الباشا التي يقودها الرايس حميدو قد أسرت سفينة جنوية مشحونة بالبوتاس وذلك في يوم 22 محرم 1212هـ/ 17 جويلية 1797م " (دوفال، 1972،ص ص، 27-28). ويعد هذا العمل الناجح الذي أنجزه الريس حميدو من أعمال الجهاد التي وجهت لعدة مدن على البحر المتوسط على غرار نابولي وجنوة وغيرها من مدن النصارى. ومن المرجح أن نشاط الجهاد البحري الجزائري بدأ يخبوا ابتداء من سنة (1230هـ/1815م) عندما غنم الرايس حميدو خمس سفن حربية إسبانية محملة بمادة الكاكاو، وسفينة هولندية محملة بالملح، وقد ذكر بعض المؤرخين أن هذه الغزوة كانت آخر الغزوات التي قادها الرايس حميدو قبل أن يلقى حتفه (تابليت، 2006، ص، 25). غير أني أميل إلى أن حملة اللورد اكسموث على مدينة الجزائر عام (1232هـ/ 1816م) تعد الشعرة التي قسمت ظهر البعير ووضعت حدا نهائيا لحركة الجهاد البحري في الجزائر خلال الحكم العثماني. ذلك أن معظم وحدات الأسطول الجزائري أحرقت وأتلفت في الميناء أثناء الهجمات العنيفة بالرغم من مسارعة الدولة العثمانية وبعض الولايات العربية التابعة لها إلى تقديم الدعم والعتاد الضروري للجزائر إلا أنها

لم تجد نفعا. وكانت هذه الحملة نذير شؤم على حركة الجهاد البحري الجزائري التي أصبحت قواتها ضعيفة بالرغم من تلك المساعدات التي قدمت لها..

ثم أن بعض النصوص التاريخية تخبرنا عن البضائع المختلفة، التي كانت في السفن المحجوزة و المشحونة بالمؤن والكنوز ذات القيمة المعتبرة مثلما نوضحها في قائمة الجرد الخاصة بالأشياء المحتجزة في الجدول التالي:

مواد التموين الاستهلاكية	الموادالأوالية
_ القمح، الشعير، الحنطة، الفول، الأرز، اللوز، الفاصوليا، الكاكاو، الذرى، القهوة ، اللحم المجفف، السمك المجفف، الجبن السكر، الملح، الفلفل، القرفة، الزيت، الخمر، تبغ البرازيل، البطاطة، البصل، الثوم، التوابل، الخل، الينسون، وغيرها من مواد التموين	_ الأخشاب، الألواح، أخشاب بناء السفن بكل أنواعها، الصوف، الحلفاء لصنع الحبال، القطن، الحرير، المرمر، الجلود، الإسفنج، المرجان، سلفات النحاس، الطلاءات المتنوعة، القطران، الكبريت، الحديد، النحاس، الزنك، صفائح الحديد المعدة لصناعة الأسلحة البيضاء، الآجر، الزليج، المسامير، الزجاج،الفخار. المدافع، المقذوفات، والمعادن الثمينة.

الجدول رقم (01): الأشياء المحتجزة عن: (Devoulx, 1871 , pp 149-151)

لقد قام القنصل شي (Chaix) بإحصاء حجم الخسائر بالنسبة للفرنسيين خلال الشهور الثمانية الأولى من سنة (1025هـ/ 1616م) والتي قدرت ب 1800000 فرنك فرنسي، أما بيير دان (Pierre Dan) فقدر حجم الغنائم التي استولى عليها البحارة الجزائريون سنة (1044هـ/1634م) ب 20000000 فرنك فرنسي.

أما أولئك الذين يعتقدون بأن الغزو في البحر كان عملية رابحة فإنهم لاحظوا الخيرات التي تزخر بها الجزائر جراء كثافة النشاط البحري في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي. (D M.DC.XL.LX, pp, 303-305) .

أما في الفترة الممتدة بين سنتي (1038-1053هـ/1628-1643م) فقدرت غنائمها ب 5000000 فرنك فرنسي و80 سفينة. وخلال سنتي (1213-1224هـ/1797-1808م) فقد تمكن الرايس حميدو على ما قيمته 2000000 فرنك فرنسي (Devoulx, 1871 ,p, 153).

2. توزيع غنائم الجهاد البحري:

يذكر لنا حمدان خوجة أنه عندما كانت تجلب الغنائم إلى مدينة الجزائر، تباع للسكان وتوزع قيمتها في الحال على ذوي الحقوق، ويكون من نصيب الخزينة العامة 5/1 الخمس وفقا لما تنص عليه الشريعة

الإسلامية غير أن هذا المقدار لم يكن كاملا دائما لأن الأشياء الثمينة كانت تأخذ قبل الإطلاع على الغنائم. وفي كثير من الأحيان تعلم الحكومة بذلك ولكنها تغض الطرف حتى لا تفشل هؤلاء الذين يعرضون أنفسهم للهلاك مدفوعين بالحمية الدينية وإما برغبة الحصول على الغنيمة (خوجة، 2006 ص، 118). لكن عزيز سامح التر يرى عكس ذلك فالغنائم التي كان رياس البحر يحضرونها حسبه إلى الجزائر لم يكن بالإمكان بيعها في هذه المدينة، ومن أجل ذلك تعهد التجار اليهود ببيعها في كل من إيطاليا وإنجلترا، والنمسا وغيرها من المدن الأوروبية عن طريق عملائهم أو بواسطة أبناء جلدتهم من اليهود (التر، 1989 ، ص،146.)

ومما تجدر الإشارة إليه أنه عندما تضبط سفينة للعدو فإن البحارة يهاجمونها ويتسابقون إلى أخذ ما عند الركاب من متاع وما هو موجود في حجرة القبطان يصبح ملكا خاصا للرايس، لكن لا يحق لهذا الأخير وبحارته أن يمدوا أيديهم إلى ما في السفينة من بضائع وأثاث. أما إذا سلمت سفينة العدو نفسها دون مقاومة فإنه لا يقع فيها الاستيلاء على ما عند الركاب، ولا يحق للرايس أن يبيع شيئا من محتوياتها وعليه أن يقودها بنفسه، أو يرسلها إلى الجزائر مع أحد رجاله. وبعد وصولها يضبط ما فيها ثم يحصى ويباع كل ذلك في الحين، سواء كانت مشحونة بالبضائع أو الأسرى. ويكون من خزينة الدولة 12 بالمائة من متحصل البيع الصافي. وقد يأخذ البايلك قبطان السفينة الأسيرة وكاتبها ودليلها أما بقية طاقمها فيباعون بالمزاد العلني. ويرجع مقدار الزائد عن ذلك إلى خزينة الإيالة. أما السفينة المأسورة فتصبح ملكا للذين أسروها، والمدافع وآلات الحرب الأخرى التي عليها فتصبح ملكا للدولة. (Devoulx, 1871, p, 153)

وإذا كان أسارى السفينة لا يتجاوزون 8 البايلك يأخذ القبطان وحده، وإن كانوا 11 أخذ القبطان والكاتب، وعند بيع البضاعة والأسرى تتحصل الخزينة على حصتها المقدرة ب 12 من المائة. أما النصف الباقي فيكون لصاحب السفينة سواء كان من الخواص أو تابعا للإيالة والنصف المتبقي يعود للبحارة كما يلي فللرايس 40 من المائة ولكل من البحارة والجنود وللكاتب وللأسرى المسيحيين الذين يعملون في السفينة الغازية وقائد المدفعية 3 من المائة، ولبقية الرجال ما بين 2، 1، 0.5 من المائة (المدني، 1984، ص ص، 177-178). يضاف إليها النسبة المأوية التي تقتطع لتصليح الميناء والأرصفة وصيانة المخازن، كما يوجد عدد كبير من الوسطاء الذين ينتظرون العشر مثل الشاوش والترجمان وتاجر الأمتعة العتيقة. أما الغنائم التي يتعذر تسويقها وبيعها في إفريقيا فتوجه نحو ميناء ليفورن ومن ثم تباع في أسواق أوروبا والغنائم المتحصل عليها عن طريق الخطأ من سفن تابعة للدول التي عقدت معاهدات سلام مع الجزائر فكانت تنقل إلى ميناء سلا بالمغرب الأقصى وتباع هناك (تابليت، 1998، ص ص، 319-320). الحقيقة أن الحكومة الجزائرية تمكنت من الحصول على خيرات كثيرة من بضائع وسلع وأسلحة وذهب وفضة ونفائس وسفن وأسرى غصت بذلك الأسواق وتكونت لديها ثروة ضخمة وانتعشت الخزينة أيما انتعاش

قبل (1201هـ/ 1786م) عن طريق الغزو البحري أو الحرب الاقتصادية التي برعت فيها الجزائر طيلة القرنين (11-10هـ/16-17م) (بالحميسي، 1983، ص ص، 198- 199).

حاصل القول أن هذه الغنائم الوفيرة التي كانت تدخل إلى الجزائر وتوزع وفقا لنسب محددة كما مر بنا قبل حين جعلت من هذه الدولة أغنى دول العالم في العصر الحديث تتنافس الحكومات المسيحية في دفع الإتاوات وتقديم الترضيات لها في أشكال مختلفة وتطلب صداقتها حتى تكون الملاحة في حوض البحر الأبيض المتوسط في مأمن من الخطر المحدق بها. (شالر، 1982، ص، 150)

وقد سار نظام توزيع الغنائم في إيالة الجزائر على وتيرة واحدة طيلة الحكم العثماني لا سيما نسبة الحصص المخصصة للحكومة من جهة والخيرات الموزعة على البحارة من جهة أخرى (Devoulx, 1871, p,154).

3. الأسرى

لقد تبين لنا أن مسألة الأسرى في هذه المرحلة التاريخية مهمة لعدة اعتبارات، منها أن غالبيتهم كانوا يستغلون في صناعة السفن أو مجذفين أيام الحروب والغزو، فضلا على أنهم كانوا كتابا في البحرية أو كتابا في الدولة أو أصحاب حانات وهؤلاء حينما يمكنهم الوصول بسيرتهم الحميدة إلى مرحلة يستطيعون فيها فك قيد العبودية عنهم وهذا بدفع المال الكافي من أجل ذلك غير أن أغلبهم ينفقون أموالهم عن سعة في المآكل الطيبة وأحيانا في الفجور، وربما قليل منهم يفكر في جمع المال لاسترجاع حريته. والأسرى الذين يرثى لحالتهم هم أولئك الذين يشتغلون في أعمال المنافع العامة، ويجب استثناء أصحاب الصناعات. أما الذين يعملون عند الباشا وعند كبار الموظفين والأغنياء أو عند العرب واليهود أو عند القناصل، أو عند الإرساليات الدينية، فإنهم ليس لهم ما يؤلمهم إلا تذكرهم بأنهم أسرى. فهم يرتدون أفخم الثياب ويأكلون أشهى الأطعمة ولا يعملون إلا أعمالا خفيفة، وفي مستطاعهم خلال مدة قصيرة جمع المال الذي يفتدون به أنفسهم. والأسير الذي يتولى منصب كاتب سجن الأسرى يكون سعيدا لو أمكنه البقاء في منصبه طول حياته. ولابد على من يتولى هذه الوظيفة أن يكون مجيدا للقراءة والكتابة وضبط سجل الأسرى وتعيين أماكنهم وعادة لا يتولى هذا المنصب إلا من يدفع لخزينة الدولة مقدارا معينا من المال. كما أن له امتيازات كبيرة حيث يستطيع أن يسير حانة لا ضريبة عليها، وله حق الأسبقية على الآخرين في الحصول على حريته في حالة توقيع اتفاقية استرجاع الأسرى من أي أمة كانت. إنه الحدث المنتظر، فقد كان بوسع الأسير أن تتم فديته بواسطة عائلته، أو أقاربه، أو أصدقائه، أو من صاحب السفينة التي أسر من على ظهرها، أو من دولته، أو بنفسه كما تقدم (المدني، 1984، ص، 178).

وقد أشار صاحب كتاب غزوات عروج وخير الدين إلى أن عملية فداء الأسرى في بداية الوجود العثماني في الجزائر كانت غير جائزة على الأقل من الوجهة الدينية، ذلك أن خير الدين بربروس جمع الفقهاء لينظروا في أمر الأسرى الست وثلاثون الذين كانوا في قبضته واستفتاهم _ أي الفقهاء _ في شأنهم فاتفقت فتياهم على عدم جواز فداء الأسرى (مجهول، 1934، ص،17)

ومما ينبغي التذكير به هو أن علاقة الجزائر مع الدول الأجنبية خلال القرنين (11-10هـ/ 16-17م) كانت سيئة للغاية تقوم على العداء الديني، وعلى قلة الالتزامات التي تسير التجارة من صادرات وواردات لهذا كانت اقتصاديات الجزائر تقوم على غنائم الجهاد البحري وعلى رأسها النخاسة أي المتاجرة بالعبيد المسيحيين. فقد غزى الأسطول الجزائري جزر كناري سنة (993هـ/1585م) وجمع في هذه الغزوة أكثر من ثلاثمائة أسير من بينهم زوجة حاكم هذه الجزيرة(حليمي، 1972، ص، 287). ولا بد من الكشف عن المعاملات الخسيسة التي كان القراصنة الأوروبيون يمارسونها ضد الأسرى المسلمين وعن الحقد والمهانة التي كانوا يسلطونها عليهم، عكس الجزائريين لدرجة أن العديد من الأسرى والعبيد الأوروبيين وصلوا إلى اعتلاء مناصب عليا في البلاد بعد اعتناقهم الإسلام (بوعزيز، 1999، ص، 442). كان لكثرة الغارات والهجمات والحروب بين الجزائر وقراصنة أوروبا وقوع آلاف الأسرى من الطرفين ومئات من السفن المختلفة الأنواع والأشكال والأحجام، وسنذكر نماذج لعدد الأسرى والسفن التي غنمها البحارة الجزائريون خلال هذه الحقبة الزمنية التي اشتد فيها الصراع (1027-964هـ/ 1556-1618م) .

وفي الفترة الممتدة من (1037-1031هـ/1621-1627م) أسر الجزائريون 20000 شخص، وقد التمس معظمهم اعتناق الدين الإسلامي ومن بينهم 867 ألماني، 30 إنجليزي، 250 بولوني، 160 دانماركي، 138 هامبورغي، و130 هولندي. وصل العديد منهم إلى مناصب عليا في البحرية الجزائرية، وأصبحوا رياسا وقباطنة للسفن وأشهرهم مراد رايس الفرنسي، ومراد رايس الألباني، ومراد رايس باترابيلو الإسباني، وحسين رايس الكريتلي، وعمر رايس الرودسي، وسارد ميمات اليهودي، ومامي الصقلي وغيرهم (سبنسر، 2007، ص، 131). ويلاحظ إن معظم هؤلاء الرياس كانوا من الأسرى الأوروبيين الذين سنحت لهم الظروف للارتقاء إلى هذه المناصب، وهذه الظاهرة كفيلة بتفسير السماحة والعفو اللذان يلقاهما الأسرى من جميع الجنسيات في الجزائر عكس ما يذكره بعض المؤرخين للانتقاص من قيمة الحكومة الجزائرية في تلك الفترة التاريخية.

وبعد ذلك أخذ عدد الأسرى في التراجع والنقصان، فمثلا في سنة (1149هـ/1736م) بلغ عددهم 1063 أسير ووصل في سنة (1153هـ/1740م) 412 أسير، ثم ارتفع سنة (1181هـ/1767م) ليبلغ 2062 أسير، وفي سنة (1204هـ/1790م) تراجع إلى 2000 أسير ونجد عددهم في سنة (1215هـ/1800م)1200 أسير ولو أن عددهم في عهد الداي محمد عثمان باشا (1180-1206هـ/1766-1791م) قدر ب 24000 (الزهار، 1980، ص ص، 25-26). وقد بلغ عدد الأسرى سنة (1208هـ/ 1793م) أزيد من مائة شخص أمريكي أسروا على 11 سفينة، وخلال سنة (1217هـ/1802م) أسر الرايس حميدو سفينة البجع البرتغالية، وعلى وعلى متنها 282 بحارا.

انتهجت الجزائر مع دول أوروبا سياسة منع قيام أي تحالف ضدها أي فرق تسد، وطبقت أسلوب المطالبة بالضرائب السنوية، ومنح الامتيازات للبعض منها وإبرام معاهدات السلم والصداقة؛ وتقديم تسهيلات للبعض منها دون الأخرى في الميادين الاقتصادية والدبلوماسية وقد وفقت الجزائر في هذه

السياسة خلال القرنين (12-11هـ/17-18م)نتيجة للخلافات والصراعات التي كانت قائمة بين الدول الأوروبية.

الخاتمة:

بناء على ما تقدم من معطيات وأدلة تاريخية مسنودة بالنصوص المصدرية والمرجعية العربية والأجنبية معا نستنتج بما لا يدع مجالا للشك بأن الجهاد البحري في الجزائر لم يكن وليد الصدفة وإنما انبعث بدافع الوازع الديني الذي يقوم على مجابهة الكفار والذود عن حياض الإسلام بالقوة وبذل النفس والنفيس ما أمكن للمسلمين قصد تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية من جهة. والوقوف في وجه الزحف الإسباني النصراني عشية سقوط آخر الممالك الإسلامية في غرناطة؛ وتقدم تلك الجيوش الغازية إلى منطقة شمال إفريقيا للضغط عليها ثم جرها إلى الخضوع في نهاية المطاف إلى ملوك النصرانية ومن هنا انبرى الجزائريون تحت ظل السيادة العثمانية لكفاح هذه القوى الغاشمة ومحاولة صدها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. ومن النتائج المترتبة عن حركة الجهاد البحري أن أصبحت الجزائر دولة لها سطوة عظمى في المسالك البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط وفي أعالي البحار مهيبة الجانب لها الكلمة الفصل في جميع القضايا السياسية والاقتصادية إقليميا ودوليا طيلة ثلاثة قرون ونيف.

المراجع:

1) ابن العنابي محمد بن محمود، (1983)، السعي المحمود في نظام الجنود، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
2) ابن ماجة أبو عبد الله (1953)، سنن ابن ماجة، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، ج2، دار إحياء الكتب العربية عيسى الباجي الحلبي وشركاءه.
3) التمكروتي علي بن محمد، (2002)، النفحة المسكية في السفارة التركية، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط.
4) التر عزيز سامح، (1989)، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
5) الجديري محمد بن محمد، (2017)، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، ضبط النص وعلق عليه خير الدين سعيدي الجزائري، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، جيجل.
6) الزهار أحمد الشريف، (1980)، مذكرات نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
7) الساحلي خليل، (1975)، " الصراع بين قراصنة تونس والجزائر والبندقية في القرن السابع عشر"، المجلة التاريخية المغربية، العدد4، تونس.
8) المدني أحمد توفيق، (1984)، محمد عثمان باشا داي الجزائر، 1766- 1791، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
9) المؤلف مجهول، (1934)، كتاب غزوات عروج وخير الدين، اعتنى بتصحيحه وتعليق حواشيه نور الدين عبد القادر، مكتبة رودوسي، الجزائر.
10) بالحميسي مولاي، (1983)، " سياسة الضرائب بالجزائر في أواخر العهد العثماني"، أعمال الملتقى الثالث لتاريخ وحضارة المغرب، ج1، مخبر التاريخ جامعة وهران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

11) بالحميسي مولاي، (1968)، " الجزائر والغزو البحري في القرن السادس عشر"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 4، كلية الآداب، الجزائر. ص ص، 7-18.
12) بوعزيز يحي، (1999)، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر.
13) تابليت علي، (2006)، الرايس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770-1815م، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر.
14) تابليت علي، (1998)، " الجزائر في القرن السادس عشر"، مجلة بحوث، عدد 05، جامعة الجزائر، دار الحكمة، طباعة، نشر، ترجمة، الجزائر. ص ص، 253-354.
15) حليمي عبد القادر، (1972)، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر.
16) خوجة حمدان، (2006)، المرآة، تعريب العربي الزبيري، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر.
17) دوفال ألبير، (1972)، الريس حميدو، تعريب محمد العربي الزبيري، م.ج.ط، الجزائر.
18) سبنسر وليم، (2007)، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر.
19) سرحان حليم، (2007-2008)، تطور صناعة السفن الحربية بالجزائر على عهد العثمانيين (920- 1246هـ/ 1514-1830م) من خلال المصادر التاريخية والأثرية، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور صالح بن قربة، معهد الآثار، جامعة الجزائر.
20) سعيدوني ناصر الدين، (1984)، الجزائر في التاريخ، ج4، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
21) شالر وليام، (1982)، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
22) عبد الله الشيخ عبد الرحمان، (1988)، " دور المسلمين في إنهاك الاقتصاد الإسباني في القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر"، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، المجلد1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة العربية السعودية. ص ص، 121-146.
23) مؤنس حسين، (1992)، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، ج2، العصر الحديث، بيروت.
24) نايت بلقاسم مولود، (1985)، شخصية الجزائر وهيبتها العالمية قبل 1830، دار البعث، قسنطينة.
25) Braudel (F) , (1987), La Méditerranée et Le monde Méditerranéen a L'époque de Philippe II, Tome1, éd Armand Colin, Paris.
26) Dan (P), (M.DC.XL.LX), Histoire de Barbarie et de ses Corsaires, tome 1, second édition, chez pierre rocolet imprimeur et libraire ordinaire du roy au palais aux armes du roy et de la ville . Paris.
27) De Grammont (H), (1885), La Course L'esclavage et La Rédemption à Alger, Paris.
28) Devoulx (A), (1871) « Le Registre des prises maritimes », revue africaine, volume15, A, Jourdan Libraire éditeur, Alger.
29) La Coste (L), (1931), La marine Algérienne sous les Turcs, Société d'éditions géographiques maritimes et coloniales, paris. .
30) Pavy (M) , (1857-1858), « La Piraterie Musulmane », in revue Africaine, volume2, A, Jourdan Libraire éditeur, Alger., pp, 337-352.
31) Venture de Paradis (J), (2006), Alger au XVIII° siècle (1788-1790), présentation et notes par Abderrahmane Rebahi, grand Alger du livre.